دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	علم النفس في ظل النظام الاشتراكي : دراسة من واقع جمهورية المجر الشعبية
المصدر:	مجلة الطليعة
الناشر:	مؤسسة الأهرام
المؤلف الرئيسي:	فطيم، لطفي محمد
المجلد/العدد:	س 6, ع 12
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	1970
الشهر:	ديسمبر
الصفحات:	89 - 96
رقم MD:	391908
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	علم النفس، الدول الاشتراكية، المجر الشعبية، الدراسات النفسية، علماء النفس
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/391908

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

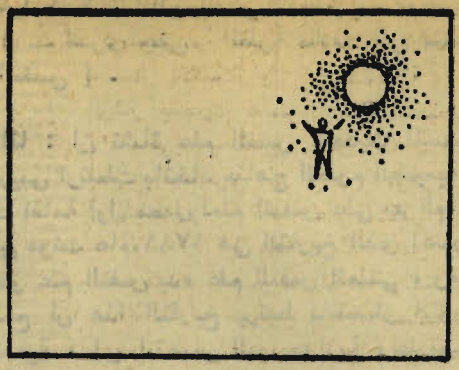

علم النفس
فى ظـــل النظـــام الاشـــتراكى

(دراســة من واقع جمهورية المجر الشعبية)

لطفى فطيم

لا يزال موضـوع علم النفس واساليب البحث فيه موضع شد وجـذب بين مختلف التيارات الفكـرية المعاصرة ، بل ان وجهة نظـر المادية الجدلية التى يمكن القول انها قد استقرت وتحددت ازاء الكثير من الامور ، لاتزال فى حركة اختمار بالنسبة لعلم النفس .

فقد استقر فى الاذهان حينا ان البافلوفية هى الفكر المادى الجدلى فى علـم النفس ، ولكن الكتابات الحديثة لعدد من علماء النفس السوفييت مثل تيلوف ، وفيجوتسكى ، وروبنشتاين تبين انها ليست كذلك .

وقبل ذلك نادى بعض المفكرين الماركسيين فى الاتحاد السوفييتى وألمانيا وفرنسا بأن التحليل النفسى الفرويدى هو المادية الجدلية فى علـم النفس ، ولكن سرعان ما شن المفكرون الماركسيون بعد ذلك الهجوم على التحليل النفسى .

وفى فرنسا اعتبر المفكر الماركسى البارز بييرنافيل فى وقت مـا ان السـلوكية هى علـم النفس المادى ،ولكن سرعان ماخفت صوته بعد ذلك ، بل ان واطسون مؤسس السلوكية هجر مجـال علـم النفس ، وعمل مديرا لاحد البنوك فى امريكا .

وعندما ظهرت المقاييس النفسية المختلفـة واختبارات الذكاء هاجمها الماركسيون باعتبارها ادوات فى خدمة الرأسمالية ، ومعادية للطبقـات العاملة والفقيرة ، ولكن وجدنا بعد ذلك الإتحاد السوفيتى وغيره من الدول الاشتراكية يستخدمون اختبارات القدرات وغيرها من المقاييس ،ولابدأن نذكر هنا عالم النفس الفرنسى البارز وعضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الفرنسى هنرى فالون الـذى كان من أوائل من استخدموا نوعـا من المقاييس لقياس تطور ذكاء الاطفال .

ودار النقاش منذ العقد الثالث للقرن العشرين حول فكرة التجريب والضبط العلمى فى علـم النفس ، فنجد بوليتزر المفكر الماركسى الفرنسى المعروف يقول فى كتابه « نقد أسس علم النفس » أن السيكولوجيا المعاصرة وقعت فى نفس الخطأ الذى وقع فيه الطب ، فقد أراد علماء النفس لعلمهم أن يدخل « جظيرة » العلوم المضبوطة ، ويحظى بمـا

تحظى به هذه العلوم من الدقة والاحترام ، فاصطنعوا أدوات القياس الفسيولوجي وانتهوا الى نتائج لا تزيد فى كثير أو قليل عن نتائج علم وظائف الاعضاء ، وتبين أن الامل الذى راود علماء النفس باكتشاف « الافعال المنعكسة الشرطية » لم يكن الا سرابا : وقدم بولينزر صياغة لموضوع علم النفس لا تقضى على الظاهرة الانسانية ، فاعتبر « ان موضوع السيكولوجيا يقوم على مجموع الظواهر الانسانية من حيث علاقتها بالفرد الانساني ، اى بوصفها مكونات حياة الانسان وحياة الناس » وأطلق على ذلك اسم الدراما ٠

ومنذ العقد الخامس من القرن العشرين حتى اليوم لم ينقطع سيل الافكار الجديدة فى علم النفس ، فظهر علم النفس الوجودى ، وعاد النقاش من جديد بين الماركسيين وأصحاب التحليل النفسى ، وظهرت نظرية المعلومات والاتصالات ، ملقية أضواء جديدة على نظرية علم النفس ، وفى الوقت نفسه تقدمت وتطورت كل المدارس والافكار الكلاسيكية ، وزاد استخدام الاحصاء والرياضة فى علم النفس ، وظهر علم النفس الرياضى ، وادت ابحاث الفضاء الى احكام التجارب النفسية وضبطها وفتح مجالات جديدة امامها ، كما ادى اكتشاف العقاقير الجديدة فى العلاج العقلى الى تغيير بعض المفاهيم القديمة ٠٠

هل يعنى ذلك أن علم النفس فى البلاد الرأسمالية قد تخلى عن طابعه الطبقى وأساسه المثالى ؟ او ان علم النفس الماركسى قد تخلى عن أساسه المادى الجدلى واتجاهه من أجل تحقيق انسانية الانسان ؟

بالطبع لا ٠٠ وانما تعترض طريق علم النفس المادى مشاكل عديدة ما زال يجاهد فى سبيل حلها ، فهو اولا : بحكم كونه من علوم الانسان ، تدافع الرأسمالية فيه عن مواقعها بضراوة ، لذلك فان تخلصه من الطابع الطبقى ووصوله الى مرتبة علم له قواعده العامة المعترف بها من الجميع أمر يحتاج الى تقدم كبير فى العلم نفسه وفى العلوم المرتبطة به عامة ، كما أنه يحتاج على المستوى العالمى الى مزيد من الانتصارات الاشتراكية فى كافة المجالات والاقطار ٠

ثانيا : ان علم النفس بحكم تاريخه ونشأته منذ القدم مرتبط بالروحية والمثالية والغيبيات المختلفة ، لذلك فان ايديولوجية هذه الاتجاهات متغلغلة فيه بدرجة كبيرة ، بل ان هناك مدارس وافكار فى علم النفس قامت خصيصا لمناهضة المادية الجدلية ، وسوف يمر وقت طويل قبل أن تنتصر المادية انتصارا كاملا [انظر الفكر المعاصر = يونيو ١٩٧٠ — قدرى حقى : نظرة مادية الى نشأة علم النفس] ٠

ثالثا : ان نشأة علم النفس الحديث المسمى بالتجريبى ارتبطت باتخاذ مناهج العلوم الطبيعية ، وكانت اقامة أول معمل لعلم النفس على يد العالم الالمانى فونت عام ١٧٨٩ هى التاريخ الذى اعتبره مؤرخو علم النفس بدء علم النفس العلمى ، ومن الواضح أن هذا التاريخ يرتبط بانتصار الثورة الصناعية ، اى انتصار البورجوازية ونظرتها العلمية ، لذلك أحرز العلم تقدما فيما يتعلق بالتطبيق واندفع فى ذلك الطريق مما يجبرنا على عدم اغفال ما وصل اليه من نتائج كما يدعونا فى الوقت نفسه الى الحذر فى فهم مدلولات تلك النتائج واستخدامها لتبرير الاضطهاد الرأسمالى ٠

رابعا : انه كان من نتيجة ذلك كله ان اغفل الجوهر الانسانى للانسان فى دراسة علم النفس وأصبح على الماركسيين أن يتلمسوا طريقهم وسط هذا الخضم الهائل ليحددوا موضوع علمهم تحديدا مضبوطا وكذلك أنسب المناهج العلمية لدراسته ٠

فالمهمة الملقاة على عاتق علماء النفس الماركسيين مهمة شاقة ولكنهم يتمسكون بقاعدتين اساسيتين : **الاولى** هى اصرارهم على الاساس المادى الجدلى لعلمهم وفضح كافة الاتجاهات الغيبية والاسطورية وقبل العلمية وشبه العلمية ، ويتمثل ذلك الاساس فى اعتبارهم النشاط الابداعى للعقل مشروطا بالممارسة العملية ، اى بالنشاط الثورى للانسان فى جهوده للسيطرة على الطبيعة ، وأن الاحساسات هى الرابطة المباشرة بين العقل والعالم الخارجى وأنها انعكاس ذلك العالم فى العقل ، وهم يهتدون فى ذلك بجانب من ابحاث بافلوف فيما اسماه بالعمليات العقلية العليا (النشاط العصبى الراقى) اى نشاط أرقى أجزاء المخ ، وكذلك ما كشف عنه من طبيعة تكون العلاقات بين المخ وبين المثيرات المختلفة التى تحيط به (الافعال المنعكسة الشرطية والنظام الاشارى الثانى) ، **والثانية** هى النظر الى الإنسان بوصفه مجموع علاقاته الاجتماعية من ناحية، وأن المكون الاساسى فى طبيعته هو العمل من ناحية أخرى ٠

بعبارة أخرى يهتدى علم النفس الماركسى بنظرية لينين فى الانعكاس القائلة بأن شعور الانسان ووعيه لا يعكس العالم الموضوعى فحسب وانما يخلقه كذلك ، وبنظرية ماركس فى الانسان القائلة بأن الطبيعة الانسانية هى نتاج للعمل والعلاقات الاجتماعية ٠

ولا يتسع المجال الان للافاضة وانما يجب أن نشير الى أنه فى فترة عبادة الفرد فى الدول الاشتراكية ، أصيبت العلوم الانسانية وعلم النفس خاصة بنوع من الجمود والتخلف ،نتيجة الرؤية الاحادية الجانب لعلم النفس ومنجزاته باعتباره مجرد تبرير للاضطهاد الرأسمالى ، وانه علم مثالى يجب رفضه من أساسه ٠

ان النقاش الواسع الذى يدور اليوم فى أوساط الماركسيين حول علم النفس ، يعنى شيئا واحدا هو أن هناك جهدا جادا لوضع ذلك العلم على المسار الصحيح ٠

والواقع أن علم نفس الطفل واختبارات الذكاء فى البلاد الرأسمالية قد استخدمت فعلا لخدمة الرأسمالية ، فبينت بعض البحوث الامريكية ان أطفال السود مثلا أقل ذكاء من البيض ، وأن ابناء الطبقات الفقيرة أقل ذكاء من أبناء الطبقات الغنية ، ولانذهب بعيدا فان الولايات المتحدة تشهد اليوم حركة نسائية عارمة من أجل المساواة بالرجل والتخلص من بقايا استبداد الرجل بالمرأة ، ويتهم زعماء تلك الحركة علماء النفس أنهم بعلمهم قد ساعدوا على تأكيد ذلك الاضطهاد وتوسيع مداه ٠

ومعنى ذلك على وجه العموم هو ان تلك البحوث والافكار متحيزة من ناحية وأن المناخ الاجتماعى ـ الاقتصادى يسمح بالحصول على تلك النتائج ، ولا شك أن استخدام نفس الادوات ـ اذا ما كانت موضوعية فعلا ـ بروح علمية موضوعية وفى ظل مناخ اجتماعى اقتصادى مختلف سيؤدى الى الحصول على نتائج مختلفة ٠

وقد لخص بوليتزر ببراعة هذه القضية فى كتابه « ازمة علم النفس المعاصر » (الترجمة العربية ـ دار الكاتب العربى ص ١٠٦) فيقول ٠٠ تتطلب السيكولوجيا اذن معرفة الحدود الخاصة بالظواهر الانسانية بما هى كذلك ، وبما هى مستقلة عن الفرد ، وهذه المعرفة ضرورية لكى يصبح من الممكن تحديد مجال السيكولوجيا وطرح المسائل بشكل صحيح ، ولكى تمكن المعرفة التفصيلية باتجاه وحدود الابحاث والاعتبارات السيكولوجية ٠٠ ولذا فان السيكولوجيا تفترض توفر حصيلة من المعارف النابعة من المادية الجدلية لتعتمد عليها بشكل دائم ، وتمثل المادية بالفعل القاعدة الايديولوجية الحقيقية للسيكولوجيا الوضعية ، ويجب الا نظن أن النتائج المترتبة على مثل هذا الاتجاه للسيكولوجيا تخص العادات البورجوازية لعلم النفس وعلمائه فقط ، أى القصور وأحادية الجانب الناتجان من كون السيكولوجيا الكلاسيكية نظام نابع من مصالح الطبقة المسيطرة ويرعاه خدامها ، فهذا ليس فى الواقع سوى جانب واحد من المسألة ، فمن المؤكد أن تدرج المشاكل السيكولوجية فى الاهمية والافاق الحالية للابحاث واتجاهها واسلوب اجرائها محدود بدرجة او بأخرى بالمصالح الطبقية ، وهكذا ظلت قضايا السيكولوجيا حتى يومنا هذا مجرد اسقاط للقيم البورجوازية ، مثلما قام علم نفس الطفل على أساس أنه لا يوجد فى العالم سوى أطفال البورجوازية ، ويجب أن نلفت النظر الى أن علم نفس الطفل بدأ بملاحظة السيكولوجيين أنفسهم لاطفالهم ، أى ملاحظات يقوم بها بورجوازيون راشدون على أطفال يعيشون فى مجتمع بورجوازى ٠

كما أنه من الواضح أن العمل لم يتحول الى مشكلة سيكولوجية الا عندما أصبح الانتاج الرأسمالى فى حاجة الى استغلال رشيد للفرد فراحت السيكولوجيا تكمل فى نطاق السيكوتكنيك ـ أساليب القياس والتوجيه النفسى المختلفة ـ المهمة التى اضطلعت بها دائما وهى : اكتشاف الوسائل التى تمكن الرأسمالية من استعباد الانسان تماما فى الانتاج ، ويجب أن نشير الى أن هذه المهمة قد تغيرت اليوم بعض الشىء فى البلدان الرأسمالية تحت تأثير عاملين : اولهما ،قيام اتحادات ونقابات عمالية قوية أدت الى اجراء بعض البحوث تحت اشرافها ، لا من أجل اخضاع الانسان للانتاج ، ولكن من اجل ارشاده الى احسن الوسائل لتحقيقه ٠ وثانيهما الاتجاه الجديد الذى يسير فيه الماركسيون المشتغلون بالسيكوتكنيك فى مجال العمل ٠

علم النفس فى دولة اشتراكية

ولقد كانت زيارتى الاخيرة لجمهورية المجر الشعبية فرصة لكى ألمس عن قرب وضع علم النفس فى دولة اشتراكية ، وكنت انوى كتابة موضوع مطول عن الماركسية وعلم النفس ، ووجدت أن عرض ماعرفته ولمسته من خلال تلك الزيارة اولا هو خير مدخل لهذا الموضوع حيث أنه يقدم بشكل واقعى الابحاث والاتجاهات التى يقوم بها علماء ماركسيون فى علم النفس ٠

وفى لقائى مع الاستاذ الدكتور لايوش كاردوش استاذ كرسى علم النفس بجامعة بودابست حاولت أن أجمع كل تساؤلاتى واستفيد من لقاء هذا العالم الجليل فى الاحاطة بتطور علم النفس فى المجر ٠

بدأت بحوث علم النفس فى المجر بداية متواضعة منذ أوائل القرن الحالى ، وكان رواد العلم الجديد فى المجر ـ كما فى غيرها ـ هم علماء الفسيولوجيا وأطباء الامراض العقلية والتربويون والفلاسفة .

وكانت البداية هى البحوث الفسيولوجية التجريبية ، فأجريت تجارب هامة على الذاكرة إرتبطت باسم **بول رانشبورج** ، وهى التجارب التى أدت الى اكتشاف الكف المتجانس Homogenous inhibition الذى حمل اسمه ، ومنذ ذلك الوقت جذبت نتائج رانشبورج اهتمام المتخصصين .

كذلك كان للتحليل النفسى نصيب فى هذه البداية فقد اجتذب **جيزا فرنزى** الذى أصبح من تلامذة فرويد الموهوبين .

وفى ذلك الوقت لم يكن لعلم النفس نصيب فى كراسى الجامعة ، أو معاهد البحث، وانما كان يندرج تحت اقسام الفلسفة المختلفة .

الا أن الوضع تغير تغيرا جذريا فى ظل جمهورية المجر التى قامت عام ١٩١٩ ، فأنشأت جامعة بودابست كرسيا لعلم النفس بها ، شغله أحد تلامذة رانشبورج الموهوبين وهو **جيزا ريفيز**، وقد اكتسبت تجاربه فى سيكولوجية السمع شهرة عالمية ، وأخذ ريفيز على عاتقه مهمة اقامة معمل لعلم النفس التجريبى، ولكن لسوء الحظ سقطت الجمهورية ، وهاجر ريفيز الى أمستردام أستاذا بجامعتها ومديرا لمعهد علم النفس بها .

وفى ظل حكم الدكتاتور هورتى انكمش البحث السيكولوجى ، ولم تظهر أية بحوث جادة سوى بعض المبادرات الفردية القليلة ، وبناء على هذه المبادرات اقامت مجموعة من علماء النفس قبل الحرب العالمية الثانية معهدا تجريبيا تابعا لاحد أقسام الفلسفة بجامعة بودابست ، وكان أول مدير له اخصائيا شابا موهوبا هو **بول شيللر** الذى سعى جاهدا لاضعاف صلات المعهد بكرسى الفلسفة والميتافيزيقا .

وبرز فى ثلاثينات القرن اسم **ليبوت زوندى** ، وكان يقوم بأبحاثه فى معامل الباثولوجيا التابعة للمعهد العالى للطب والتربية، واستطاع ان يبدع اسلوبه فى تشخيص الاضطرابات النفسية، وذلك عن طريق الاختبار الذى ابتكره وسمى باسمه ، وهو اختبار تشخيصى للاضطرابات العقلية لاقى شهرة فى العالم كله ، وعند قيام الحرب العالمية الثانية لجأ زوندى الى سويسرا هربا من الاضطهاد حيث استمر هناك فى أبحاثه التى أثارت اهتماما عظيما بين المشتغلين بعلم النفس .

وتأسس فى ظل نظام هورتى معهد علم نفس الطفل، وكان فرصة للاخصائيين النفسيين الشبان من ذوى الميول التقدمية للقيام بأبحاثهم، فنشطوا فى استقصاء سيكولوجية الفن ، الا أنها كانت نشاطات فردية ، واعتمد **لازلو ماترى** على ابحاث الشخصية وأنماطها ، ، لكى يثير المسألة فى كتابه « **العمل والحياة** »، وانتظمت الابحاث نوعا ما بتأثير علماء النفس والفلاسفة وتأسست جمعية علم النفس حيث كانت تلقى الابحاث وتعقد المؤتمرات مما اثار اهتمام أوساط اوسع بعلم النفس ، وصدرت مجلة خاصة بعلم النفس وهى « **مجلة علم النفس المجرى** » التى ظلت تصدر بانتظام حتى عام ١٩٤٢ ، وقبيل الحرب العالمية الثانية ظهرت مجلة أخرى هى « **دراسات فى علم النفس** » ، وظهر آخر عدد منها قبل تحرير البلاد من الفاشية، وحوت تلك المجلتان بحوثا كثيرة عن تجارب الاحساس والتفكير .

وبعد التحرير نشط البحث فى علم النفس بشكل كبير ، فأعادت جامعة بودابست انشاء كرسى علم النفس وضمت اليها معهد علم النفس، وبعد رحيل بول شيللر الى أمريكا تولى كرسى علم النفس **الاستاذ لايوش كاردوش** وما زال يتولاه حتى اليوم ، واتسع تعليم علم النفس فى الجامعة والمعاهد العليا ، كما اتخذ معهد علم نفس الطفل اتجاها جديدا ، واستفاد الاخصائيون النفسيون والعلوم المتعاونة معهم من التشجيع الذى قدمه القسم الخاص من أكاديمية العلوم المجرية التى أعيد تنظيمها .

وفى عام ١٩٤٧ ، عادت « مجلة علم النفس المجرى» الى الظهور ، كما استعادت جمعية علم النفس نشاطها ، وخلال تلك السنوات تعرف علماء النفس المجريون على نتائج أعمال زملائهم السوفيت ، فتعرفوا على النواحى النظرية والايديولوجية لمختلف الاتجاهات السيكولوجية وعمقوا معرفتهم بأعمال بافلوف ، الا أن كل فائدة ونفع لهذه الاعمال النظرية لن تظهر أو تؤتى ثمارا مالم يدعمها بحث مواز فى مادة علم النفس ذاتها ، تلك المادة التى ـ لسوء الحظ ـ تخلفت خلال سنوات عبادة الفرد .

فانحلت جمعية علم النفس وتوقفت مجلة علم النفس المجرى عن الصدور ، وفى الجامعة اقتصرت دراسة علم النفس على مسائل محدودة جدا ، وتوقف اعداد المتخصصين وتدهورت

المعامل، الا انه فى ظل هذه الظروف وبفضل جهود متواضعة جدا استمرت الدراسات التجريبية فى معهد علم نفس الطفل الذى أصبح تحت اشراف اكاديمية العلوم المجرية ٠

وفى المعهد التابع للجامعة بدأوا منذ ذلك الحين فى وضع الاختبارات السيكولوجية المقارنة عن التعلم انطلاقا من التجارب التى اجريت على الانسان والحيوان، وتتابعت التجارب والخبرات فى مجال علم النفس التربوى والتعليمى فى معهد علم نفس الطفل ، وقامت بحوث هامة فى مجال علم نفس الطفل والجماعات وذلك فى المعهد القومى للتعليم الذى أسس حديثا ووضع تحت رئاسة **فرانز ميرى**، وفيما بعد حل ذلك المعهد تحت دعوى أنه يبرر الاتجاهات التربوية الرجعية ، وهى الاتجاهات التى ترى أن الطفل يجب ان يكون موضع دراسة علمية مستقلة، وأنه يجب دراسته دراسة مستقلة عن سيكولوجية البالغ ، واتهم أنصار تلك المدرسة بأنهم يريدون القول بأن أطفال الطبقة العاملة هم بحكم الميلاد أقل ذكاء وأقل موهبة وأقل قابلية للتعليم من غيرهم ، وقد نشرت بعض المطبوعات التى لخصت البحوث التى دارت فى اطار ذلك المعهد ، اما بقية الدراسات والمقالات الاخرى التى رأت النور فتناولت القضايا الايديولوجية لعلم النفس وكانت فى معظمها تتناول الخطوط العامة ٠

بعد الخمسينات

وما أن انتهت الخمسينات حتى نشطت الاختبارات والبحوث السيكولوجية مرة اخرى ، رغم أن الظروف المواتية لنشاطها — كالمعامل والمكتبات المتخصصة وهيئات علم النفس — لم تكن على ما يرام ، وتحسنت اوضاع تلك الظروف تدريجيا وذلك بفضل الجهود المثمرة للجنة علم النفس بأكاديمية العلوم ، وتعزز هذا التطور وتدعم تحت تأثير انشاء المعاهد المتخصصة لعلم النفس فى العالم الخارجى ، واتجهت البحوث لدراسة مشاكل هذا العلم لافى على النفس فحسب، وانما فى العلوم المرتبطة به كذلك كالتربية والفسيولوجيا والطب العقلى ، وأثمرت الجهود التى قامت بها هذه الاقسام والمعاهد ، مما أدى الى قفزة كبيرة فى الدراسات النفسية ٠

● ففى مجال **علم النفس العام** تركزت البحوث حول قضايا الادراك الحسى والتعلم والتفكير ، وكان التوافق الحسى — الحركى المنطلق الرئيسى لهذه البحوث التى تركزت فى قسم على النفس العام فى معهد علم النفس [وهو نفس معهد علم نفس الطفل القديم الذى أعيد تنظيمه ووضع تحت رعاية أكاديمية العلوم]، ويشرف على هذا القسم **الاستاذ زولت تانزوس** ، وتتناول البحوث مسائل التآزر الوظيفى للبصر والنشاط الحسى الحركى Kinesthesie ودوره فى السيطرة على الحركة ، وأثر الاحساس الاتزانى Proprioception على المراكز البصرية ، والتفاعل الوظيفى بين جهاز الرؤية وجهاز السمع ، وتنظيم الحركة الارادية ، وأكملت هذه التجارب بالتحليلات النفسية الفسيولوجية كتسجيل التعديلات الكهربائية السطحية على القشرة المخية ، والاستجابات الكهربائية للشبكية والوظائف البصرية الحركية ،وذلك بفضل الادوات والاجهزة الحديثة ، وأصبحت الحركات المرنة والقوية [مثل حركات أصابع عازف البيانو] ، والسيطرة النفسية عليها أحدى القضايا الهامة فى البحوث النفسية الفسيولوجية خاصة بعد الوصول الى الاجهزة الفائقة الحساسية ٠

● أما فى **سيكولوجيا التعلم** فقد تتابعت البحوث التى عمقت وأثرت الدراسات النفسية ، وذلك فى قسم علم النفس بجامعة بودابست تحت اشراف الاستاذ **لايوش كاردوش** ، وكان الهدف الاساسى من البحوث هو دراسة واكتشاف الفروق — وبالتالى الارتباطات الوراثية والتكوينية — بين التعلم عند الانسان وعند الحيوان ، فالنظريات السابقة عن التعلم أقامت نفسها بلا تمييز على التجارب التى أجريت على الانسان والحيوان على السواء ، ولقد أصبحت شرعية هذا المنهج مثار شك فى ضوء نتائج هذه البحوث ، فقد ظهرت فروق واضحة فى مجال السيطرة النفسية على الحركات لدى كل من الانسان والحيوان ، كذلك أجريت تجارب هامة على الكائنات الانسانية فيما يتعلق بالظاهرة المسماة بتكافؤ الأداء لدى الحيوان والانسان ، وهى احدى السمات المميزة لشكل الحركة والنشاط فى المعالجة اليدوية ، وتسمح نتائج هذه التجارب باستخلاص نتائج هامة خاصة باشكال التنظيم الاكثر عمومية فى التعلم الانسانى ، وأجريت اختبارات سيكولوجية هامة تحت اشراف الاستاذة **الونا باركوزى** فى قسم علم النفس بجامعة بودابست حول نشاط المعالجة اليدوية لدى الفرد ولدى الطفل، وقد وضحت هذه التجارب — من ناحية أخرى — الفارق الاساسى بين السيطرة على الافعال لدى الانسان والحيوان ، وقدمت ملخصات لهذه التجارب فى معظم المؤتمرات الدولية لعلم النفس ، واهتم بها العالم الغربى اهتماما كبيرا تجلى فى دعوة معهد علم النفس بجامعة بادوا الايطالية للاستاذ كاردوش للاشراف على تجارب مماثلة لديها ٠

● وفى مجال **علم النفس الفسيولوجى** والتحليلات السيكو فسيولوجية برزت البحوث ذات الاهمية الدولية للاستاذين **كالمان ليساك واندريه جراستيان** وزملائهما ، وهى التجارب التى اجريت فى معهد الفسيولوجيا التابع لجامعة بكس، وتدور ايضا حول مشاكل التعلم، فقد بحث هذان العالمان المظاهر المبكرة لتشريط ميكانيزم التعلم والمراحل الاولية للدافعية فى احداث السلوك ، وكذلك اثر ميكانيزمات الدوافع تحت اللحائية فى تنظيم الروابط الشرطية . كذلك فان بحوث العالم الفسيولوجى **يانوش زنتماجوتاى** (معهد التشريح بكلية الطب بجامعة بودابست) حول وظائف الجهاز التوازنى بالاذن (ادراك التوازن والنشاط البدنى) هى فى الاساسى بحوث ذات طبيعة فسيولوجية ، ولكنها تلمس أيضا مشاكل خطيرة خاصة بسيكولوجية الادراك، وقد قام **جيورجى** آدم [أستاذ كرسى فسيولوجيا الحيوان بجامعة بودابست] بأبحاث تجريبية هامة هو الاخر فى مجال علم النفس الفسيولوجى حول العلاقات والتجاوب العميق بين الفعل والادراك الحسى الداخلى Interoception ، وقد القت بحوث هذا العالم الضوء على مشكلة الاساس النيوروفسيولوجى للشعور واللاشعور .

وقد تخصص الاستاذ **فرانزليناره** من معهد علم النفس بأكاديمية العلوم فى سيكولوجيا التفكير وحل مشاكلها ، وتدور تجاربه حول استخلاص العلاقات بين مراحل تطور التفكير وبين عمليات التفكير ذاتها ، وتدور أبحاث فى نفس المجال فى قسم علم النفس بالجامعة، ولكن من زاوية اخرى، حيث يتم تحليل مختلف العمليات الفكرية (كالمقارنة والتمييز والتعريف) .

● وفى مجال **علم نفس الشخصية** فقد اجريت بحوث هامة فى معهد علم النفس تحت اشراف الاستاذة **ماترون لايوش** من أجل دراسة الارتباط بين سمات الشخصية وبين احتمالات التشريط Conditioning والانطفاء ، وكذلك من أجل تحليل «انماط الاستجابة المخية» Encepnalographique لطراز الشخصية فى حالات الراحة وحالات التعليم ، ومن أجل مختلف المناهج السيكوفسيولوجية فى اختبار الشخصية ، ومن أجل استخلاص استجابات مختلف أنواع الشخصية

وقد ابتكر **لازلوجابور هورفات** مدير قسم اختبارات القدرات فى سكك حديد المجر أسلوبا جديدا فى اختبار الشخصية أطلق عليه « اختبار للخطوط العامة للتفكير واتخاذ المواقف » « Investigation du scheme de la pensée et la prise de position. » وهو يستخدم الان بكثرة لقياس بعض السمات الانفعالية للشخصية .

● وفى مجال **علم النفس التكوينى** Genetique **وعلم نفس الطفل** تجرى الان بحوث كثيرة ونشطة ، ويبرز اولا اسم واعمال **لازلو كليمن** الذى يشغل كرسى علوم التربية فى جامعة بكس ، فقد تابع خلال عدة سنوات مجموعة من التجارب المتعلقة بتفكير التلاميذ فى مختلف الاعمار بهدف اكتشاف الابنية والعمليات المنطقية فى تطور فكر الطفل ، ولما كانت هذه الاختبارات تجرى فى اطار من المواد المدرسية ، فقد استخدمت أيضا نقطة انطلاق لبحوث فى سيكولوجية التعليم والتربية التى تهدف الى اقامة نظام من مقتضيات نمو التفكير ، نظام يمكن ادماجه فى منهج المواد الدراسية ، واضعا فى الاعتبار ـ على أساس من تحليل بنائى منطقى ـ مستوى التطور النفسى الامثل للطفل ، واتخذ جينوسلامون بقسم علم النفس بجامعة بودابست نقطة انطلاقه فى أبحاثه المظاهر المتخصصة لنمو التفكير ، وكانت قضاياه الاساسية هى مظاهر التفكير فى اعمال الطفل وتطور هذا التفكير ، كما تدرس **بيلارادناى** فى نفس القسم الاسس النفسية للفهم Comprehension وخاصة دوره فى التقاط المفهومات فى المرحلة العليا من المدرسة الابتدائية، وتتم فى قسم علم النفس ايضا تجارب هامة حول تكوين المشاعر الايجابية والسلبية المرتبطة بالذاكرة من سن المدرسة حتى البلوغ، وفى معهد علم النفس التابع للاكاديمية تجرى الابحاث حول النظام الاشارى الثانى (البافلوفى) وتطور المراحل التمهيدية والاشكال الاولية للغة لدى الاطفال فى سن ما قبل المدرسة .

وقد بادر معهد علم النفس الى القيام بتجارب مركبة فى مجال سيكولوجية التعليم ، حيث يحاول تجرى مبادىء جديدة فى التعليم تسمح بتمثيل أسرع وأعمق للمواد الدراسية التى تزداد عددا وتعقدا يوما بعد يوم ، فتحاول هذه التجارب استبعاد الاساليب التى تعتمد على شرح المدرس وتزيد من النشاط الذاتى للتلاميذ .

● أما فى مجال **الطب النفسى** فان البحوث فيه تتبع مختلف الاساليب ، فهناك اختبارات تقدمية لقياس الاثر العلاجى للجماعة وذلك فى عيادة طب الاطفال التابعة لجامعة بودابست ، والنقطة

الاساسية فى الاثر العلاجى للجماعة هى التنسيق بين جهود الوالدين أو من يتولى العناية بالطفل الذى يعانى من اضطرابات نفسية وبين تنظيم مواقف صراعية معينة، كما يطبق العلاج الجمعى هذا على مجموعات من مرضى الفصام ونذكر هنا تجربة العلاج بالعمل التى قام بها الطبيب النفسى استيفان بنديك ، وسجلها فى كتابه « القفص الذهبى » الذى لاقى رواجا كبيرا ، وتجرى ترجمته الآن الى العربية . ويتجه عدد كبير من الباحثين الى دراسة امكانية اجراء تعديلات معينة فى الشخصية وخاصة فى حالات الحواز Obsession [الافكار المتسلطة] لدى الافراد الذين يعانون من أمراض عضوية [كالاطفال الذين يعانون من ضغط الدم أو تصلب الشرايين المبدئى ، أو الربو .. الخ] كما تجرى دراسات واسعة حول شخصية مرضى السل ، وقد نشرت معظم هذه الابحاث فى المجلات العلمية والسيكولوجية الاوربية والامريكية .

● وفى مجال **سيكولوجيا العمل** (علم النفس الصناعى والمهنى) أجريت تجارب كثيرة حول دور مختلف العوامل الجوية فى انتاجية العمل ، ودارت ابحاث أخرى حول الاثر المؤقت أو الدائم لمختلف المنتجات الكيماوية على الروح المعنوية ، وعلى الشخصية بوجه عام ، وقد قام **ايمرى مولنار** بعدة بحوث فى هذه الناحية مثل أثر العلاقات الانسانية على العمل الجماعى فى المصنع ، كما جرت أبحاث وتجارب هامة فى قسم علوم التربية بالمعهد العالى للتربية فى جامعة سجد عن التعب ، وتدور الان أبحاث فى مجال الاعمال الزراعية حول أثر اهتزازات الجرارات على الشخصية وأساليب الوقاية من الضوضاء ، وتدور أبحاث منذ عدة سنوات فى نطاق معامل علم النفس الصناعى التابعة لوزارة التعدين والصناعة حول مشاكل الشغل وتنظيمه ergonomie

● وفيما يتعلق **بعلم النفس الاجتماعى** فقد بدأت دراسته فى المجر منذ السنوات الاولى للتحرير ، واثارت استبيانات فرانز ميرى فى ديناميات الجماعة اهتماما دوليا، ولكن لسوء الحظ فانه فى فترة عبادة الفرد أعيقت تلك الابحاث ولكنها عادت الى الحياة من جديد الان ، وتجرى الان فى قسم علم النفس بالمعهد العالى للتربية الطبية بحوث حول عوامل تكوين الجماعات لدى فاقدى البصر من الاطفال ، ولا يفوتنا أن نشير فى النهاية الى بعض الابحاث القيمة فى مجال سيكولوجيا الفن حيث تحاول بعض الدراسات استخدام المنهج التجريبى فى بحث مسائل الابداع الادبى والتذوق الفنى .

الاطار النظرى للابحاث

ولكن ماهو الاطار النظرى الذى تدور فى نطاقه تلك الابحاث ؟ .

رغم تشعب البحوث واتساع مداها ومجالاتها فانها جميعا متجانسة ، وتحكمها قاعدتان أساسيتان تسيطران على المفهومات الاساسية لعلم النفس الماركسى ، الاولى ، هى وحدة العمل بين النيوروفسيولوجى وعلم النفس . والثانية ، هى حالة الحتم التاريخى والاجتماعى لعالم الظواهر النفسية الانسانى ، أى حتمية ارتباط الظواهر النفسية بالمستوى الاقتصادى الاجتماعى ومرحلة التطور التاريخى التى بلغها المجتمع المعين والبشرية بصفة عامة . ومن البديهى اننا لايمكن ان نكتفى بايراد القواعد العامة ، وانما لابد من توضيح كافة التفاصيل، ولكن هذه القواعد تنتصر باضطراد فى كافة مجالات علم النفس ، وبسبب الحتم الاجتماعى والتاريخى فان المسائل الايديولوجية فى علم النفس تبرز وتتضح فى أشكال أكثر صراحة وتبلورا عنها فى مجالات علوم البيولوجيا أو الفيزياء مثلا ، وينبغى على الباحثين أن يتخذوا موقفا حازما وثابتا من موضوع دراستهم ، ويتناول الباحثون المجريون مختلف الاتجاهات الغربية (السلوكية ، الجشطالت ، التحليل النفسى، .. الخ] تناولا نقديا جادا، وهم لا يعارضونها معارضة متسرعة ولايقللون من أهميتها فى تطور علم النفس ،وهم فى الوقت نفسه يناقشون تطبيقاتها ومضامينها الخاطئة التى لا تتفق مع تحليل الوقائع والتى ترجع الى أصول ايديولوجية .

وبنفس الطريقة يتناول علماء النفس فى المجر أبحاث بافلوف ، وهى أبحاث هامة من حيث أساسها الايديولوجى ، ويصدرون أحكامهم الخالية من أى تحيز ومن أى تفسير خاطىء ، وفى هذا المجال ظهرت دراسة شاملة حول تطبيق النتائج التى حصل عليها بافلوف فى علم النفس ، وقد قام بهذه الدراسة الاستاذ لايوش كاردوش ، وحاول جهده فيها أن يحدد بدقة الى أية درجة يمكن تطبيق هذه النتائج فى علم النفس ، وكذلك الامكانيات التى تقدمها وحدود تطبيقها .

ويعتقد الباحثون المجريون أنه يمكن أن تقام بسهولة نظرية خاطئة فى علم النفس اذا تدخلت فيها التأثيرات الايديولوجية غير المحكومة ، ان النظرية الانعكاسية (وهى النظرية المادية الجدلية القائلة بأن الشعور أو الوعى يعكس العالم الموضوعى بل ويخلقه) ، والتى ازدادت أهميتها بعد الاضواء التى القتها عليها نظرية المعلومات والسيبرناطيقا تلعب دورا كبيرا وهاما فى تفسير النتائج التى يحصل عليها الباحثون .

اعداد الباحثين النفسيين

وينعقد الامل الان على تخريج أفواج جديدة من الباحثين النفسيين وفقا للنظام الجديد الذى بدأ منذ عدة سنوات فى جامعة بودابست ، ومدة الدراسة بقسم علم النفس التابع لكلية الاداب هى الان خمس سنوات يمر الطالب خلالها بامتحانين عامين أحدهما بعد السنة الثانية ، والاخر بعد السنة الخامسة ، ولا يحصل الطالب على درجته الجامعية الا بعد تقديم رسالة تفحصها الجامعة وتضع تقديرا لها يضاف الى درجاته فى الامتحان .

وبرنامج الدراسة كالاتى : خلال السنتين الاولى والثانية يختار الطالب موضوعا آخر بجانب علم النفس كاللغة المجرية ، أو أية لغة أجنبية ، أو الرياضيات أو البيولوجيا ، أما فروع علم النفس فيدرس منها أساسا علم النفس العام ، والمواد البيولوجية المتعلقة بعلم النفس (كالتشريح والبيولوجيا وعلم الانسجة) ووسائل التجريب فى علم النفس ، والاحصاء ، وفى نهاية السنة الثانية يمر الطالب بامتحان عام فى علم النفس والمادة الاخرى ، ويتلقى الطالب علم النفس فى كل الفصول الدراسية الاربعة خلال العامين ، وتدرس المواد البيولوجية فى أقسام التشريح والفسيولوجيا فى كلية الطب ، أما الرياضيات فتدرس فى كلية العلوم .

وابتداء من السنة الثالثة يتخصص الطالب فى أحد فروع علم النفس الثلاثة وهى : الاكلينيكى والصناعى والتربوى ، ومن يختر الاكلينيكى أو الصناعى يتوقف عن دراسة المادة الاضافية ، أما التربوى فلابد من دراسة مادة التخصص فى التدريس ، والقاعدة هى أن الاخصائى النفسى التربوى لا يمكنه القيام بمهمته بكفاءة الا اذا كان أيضا يدرس مادة ما ، وقاعدة أخرى هى أن من يتخصص فى فرع ما يتلقى أيضا محاضرات فى الفروع الاخرى ، وفى نهاية السنة الرابعة يتقدم الطالب الى امتحان عام فى كافة المواد التى تلقاها فى تخصصه ، كما يتلقى امتحانا فرعيا فى نهاية السنة الثالثة كذلك .

ويتلقى الطلاب تدريبا عمليا on the Job خارج الجامعة ، ففى أثناء العطلة بين السنتين الثالثة والرابعة لابد للطالب من أن يتلقى تدريبا فى مؤسسة مناسبة لمدة أربعة أسابيع ، وبعد النجاح فى الامتحان العام الثانى (بعد السنة الرابعة) يتلقى الطالب تدريبا عمليا خلال السنة الخامسة التى يعد فيها أيضا رسالته ويصبح مقيدا فى مؤسسة مناسبة (مثل نظام أطباء الامتياز) لمدة ٢٠ ساعة أسبوعيا خلال ثلاثة شهور .

وفى نهاية العام الخامس تفحص الرسالة وينال الطالب درجته الجامعية .

بعد أن أعددت مقالى قرأت الحديث الهام المنشور فى الاهرام ، والذى دار بين **الدكتور محمود فوزى** رئيس الوزراء وبين **الاستاذ محمد حسنين هيكل** ، ولمست اهتمام رئيس الوزراء بتطوير برامج الدراسة وجعلها فى مستوى العصر ، فأضفت ـ اتماما للفائدة ـ هذه الفقرة الاخيرة عن كيفية اعداد الباحثين النفسيين فى جامعة بودابست .